Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى جو رحب يفيض حركة وحياة ، وقد استطاع بهذه النظرة الدقيقة ان يشرح فكرة النظم التي كانت سائدة في بيئات المعتزلة والاشاعرة حينما تعرضوا لاعجاز القرآن . ولم يكن النظم عنده الا تعليق الكلم بعضهـــا ببعض وجعـــل بعضها بسبب من بعض أو توخي معاني النحو وسلوك مذاهبه ، وهو الأساس الذي يقوم عليه الادب الرفيع والتفاوت بين الاساليب . ولكي يبرهن على ما ذهب اليه أعاد القول وشرح وفصّل ليثبت نظريته ويقنع المعارضين ويزيل ما علق في نفوسهم من شك وارتياب . وقد وفق في ارساء أسس نظريته وأقام عليه تصوره البلاغي كله ونظر إلى كتاب الله واللفظ والمعنى والتصوير الأدبي من خلالها ، وجمع بين البناء والتركيب والصياغة والتصوير والجمال في فكرة واحدة هي النظم التي عالج بها ثنائية اللفظ والمعنى وقضى على ما كان في كتب البلاغة والنقد من مناقشات عنيفة وتعصب عقيم لا يخدم الادب ولا يحقق غاية الدارسين . وأظهر ما نادى به انكاره لقيمة اللفظة المفردة وايمانه بأن الالفاظ لا تتفاضل من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الفضيلة وخلافها تثبت لها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ . وفي هذا ثورة على اللفظيين الذين اكبروا الالفاظ المفردة ووصفوها بالرشاقة والعذوبة والسلاسة ، وعلى معاصريه من البلاغيين الذين عقدوا الفصول الضافية للحديث عن فصاحة الالفاظ . وفي هذا ايضاً تحديد لموقفه من الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما ، والوصول إلى ان هذه المصطلحات أوصاف راجعة إلى المعاني وإلى ما يدل عليه بالالفاظ دون الالفاظ أنفسها ، اي انه وحّد بين اللفظ والمعنى في هيئة او صورة واحدة وهو ما ذهب اليه الجاحظ حينما قال : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير »[1] ولكنه لم يوضح فكرة الصياغة او الصورة كما وضحها عبد القاهر ولعله فعل ذلك في كتاب « نظم القرآن » . والذي أوصل عبد القاهر إلى هذه الفكرة نظرية النظم التي تمسك بها وأرجع اليها قضايا البلاغة والنقد .

---

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٣٢ .